كليـــــــــة الاداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبــي القديم

لطلبــة السنــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضــرة الثالثة بعنــوان: النقـد الانطباعي، مفهومــه ومجالاتــه

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2021- 2022

1- مفهوم التأثرية:

لقد ترجم مصطلح التأثر إلى اللغة العربية بمصطلح الانطباع ويطلق على أصحابها باسم (الانطباعيين)، فالانطباعية أو التأثرية هي ذلك الأثر الذي تتركه قراءة النتاج الأدبي في نفس الناقد ثم تحلله وتعلله بالحجج المستخرجة من النص المنقود مدللا على سر إعجابه ورغبته المتزايدة في قرائته[1].

2- أصول النقد الانطباعي وملامحه في النقد:

ظهر النقد في العصر الجاهلي مع ظهور الشعر، وأول ما عرف في شكل أحكام ذاتية انطباعية، هذا الانطباع يبدي فيه المتلقي حكمه الفوري، ويعرف هذا النوع من النقد بالنقد الذاتي التأثري أو الانطباعي، إذ يرجع العرب في كل ما يتصل بأدبهم إلى السليقة، إذ يصدرون عنها في أحكامهم التي تدور حول ما استخدموا من أنماط أدبية، فتذوق الجمال في الأدب يعود عندهم إلى الطبع، إذ نشأوا عليه، لذا نجد نقدهم مطابقا لفطرتهم، صادرا عن ذواتهم وأذواقهم وتأثرهم بالجمال حسبما تعودوا عليه من تمييز بين الجيد والرديء أو الغث والثمين في فنون القول.

أما في منتصف القرن التاسع عشر حاول النقاد أن يخضعوا الأدب والنقد الأدبي إلى مجموعة قواعد تحكمها وتنظمها كما تحكم وتنظم القوانين الرياضية والفيزيائية وصار النقاد ينظرون إلى النص الأصلي من حيث الملابسات التي ظهر فيها، والظروف التي أحاطت به، والحالات النفسية للأديب ومن هنا ظهر النقد السياقي[2] باعتبار أن الأدب وجد في سياق ومن هنا بدأت الانتقادات توجه إلى نقدهم وقواعدهم فكانت النتيجة ظهور النقد التأثري الذي ظهر كرد فعل لأنواع النقد الأخرى أي النقد الموضوعي.

---

[1] ينظر: كارلوني وفيللو، النقد الأدبي، ت، كيستي سالم، منشورات عديدات، بيروت، باريس، ط2، 1980، ص67.

[2] ينظر: إبراهيم صدفة، التأثرية والنقد التأثري، عالم الكتب الحديثة إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص7-8.

ومن هنا يقرر محمد غنيمي هلال، «إن النقد التأثري والدعوة له تم الرواج لها في القرن التاسع عشر كما كانت الدعوة له صدى للفلسفة الجمالية والمثالية، وكرد فعل ضد النقاد الوضعيين الذين حاولوا جعل الأدب والنقد علما»[1] فالانطباعية اتضحت معالمها في فرنسا وأخذت في الانتشار في جميع الشعوب كما يذهب محمد مندور إلى «أن الثورة الرومانسية كانت أكبر تمهيد لظهور النقد التأثري، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر»[2].

ويوضح على جواد الطاهر التأثريه بقوله: «الانطباعية التي نحن بصددها ونقول التأثرية أحيانا مدرسة في الفن والأدب... في الأدب أن يعيد المنشئ الانطباع في تشكل من أشكال الإنشاء، وفي النقد الأدبي أن يعيد الناقد الانطباع –الأثر– الذي تركته في نفسه قراءة لنص إنشائي، من قصيدة أو قصة أو مسرحية أو كتاب»[3].

وكان للنقد الانطباعي في النقد القديم (العصر الجاهلي) عدة اتجاهات أو أنواع، إذ وصلتنا حسب المواقف التي تم فيها الحكم من قبل العالمين للشعر والشعراء الناقدين لشعر غيرهم، وانطلاقا من النصوص النقدية التي وردت إلينا من أمهات الكتب، يمكننا التمييز بين عدة اتجاهات نقدية انطباعية.

أ– **النقد اللغوي:** وهو النقد القائم على الوقوف عند مواطن الخطأ في الاستعمال اللغوي، فقد كان العرب قديما على صلة وثيقة بأسرار اللغة وخصائصها، إذ يدرك الشاعر أو المتلقي بفطرته الدلالة اللغوية للكلمات، فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالة اللغوية واستعمل الكلمة في غير موضعها اللغوي المناسب أحس المتلقي بذلك الخطأ اللغوي أو النحوي إحساسا مباشرا وانتقده بما تجود به قريحته.

ومن أمثلة ذلك ما قيل عن أبي عبيدة قال: مر المسيب بن علسة بمجلس بني قسي بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم:

---

[1] محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة، مصر، ص102.

[2] محمد منذر، النقد والنقاد المعاصرون، دار النهضة، القاهرة، ص214.

[3] على جواد الطاهر، مقدمة في النقد والأدب، المؤسسة العربية، ط1، 1979، ص417.

أَلا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ نُحَيّيكَ عَن شَحطٍ وَإِن لَم تَكَلَّمِ

ولما بلغ قوله:

وَقَد أَتَناسى الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ بِناجٍ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَمِ

قال طرف وهو صبي يلعب مع الصبيان (استنوق الجمل) فالصيعرية سمة الإناث لا الفحولة.

ب- النقد المعنوي: كان العربي يدرك بفطرته أن اللغة وضعت للتعبير عن ذاته وإحساسه وقيمه وبيئته، فإذا وافقت لغة الشاعر المعنى الذي عبر عنه، رضي المتلقي عنها وعبر عن رضاه، أما إذا ابتعدت العبارة عن المعنى المقصود نفر عنها المتلقي واستهجنها، ومثال ذلك ما عيب عن المهلهل بن ربيعة في قوله:

فَلَوْلاَ الرِّيْحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحُجْرٍ صليلَ البيضِ تقرعُ بالذكورِ

لقد وصف هذا البيت بأكذب ما قالته العرب لأن منزله كان على شاطئ الفورات وحجر هي اليمامة، والمسافة بينهما مسيرة أيام.

ج-النقد العروضي: لقد ارتبط الشعر العربي في نشأته ببعض الأنغام الموسيقية المألوفة، حيث اتفق الشعراء على موسيقى معينة تأتلف جميعها في الوزن والقافية والروي، ونتج عن هذا الإتفاق أن الأذواق العربية في الجاهلية ألفت هذه الرتابة التي تحققها وحدة الإيقاع والنغم ونفرت من كل ما هو نشاز خارج عن المألوف، مثالنا على ذلك ما عابته العرب على النابغة الذبياني حين وقع في الإقواء في قوله:

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ

أَفِدَ التَرَجُّلُ غَيرَ أَنَّ رِكابَنا لَمّا تَزُل بِرِحالِنا وَكَأَن قَــدِ

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَداً وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسوَدُ

فالنقد الانطباعي يعتمد على الذوق الخاص الذاتي القائم على التجربة الشخصية، إذ يحكم الناقد فيه باستحسان العمل الأدبي أو استقباحه دون أن يعلل أو يفصح عن أسبابه، وإنما يستند في حكمه على ذوقه وانطباعه النفسي.

3- مبادئ النقد التأثري:

3-1 الدربة والممارسة: لقد نادى النقاد القدامى بالذوق والدربة ويتضح ذلك من خلال القدرة على التمييز بين الجودة والرداءة في الأدب، حيث يرى القاضي الجرجاني أن الشعر الجيد هو الذي يكون صادرا عن طبع ودربة وذكاء، بعيدا عن الصنعة والزخرفة اللفظية حتى يكون شعراً مؤثرا في نفوس القراء والدارسين مركزا على الدربة كما فعل ابن سلام الجمحي والآمدي[1].

فالأدب يأتي مختلفا باختلاف أصحابه في الطبائع والأمزجة، لأن النفوس ليست واحدة وإنما هي أفراد مختلفة: " فليست هناك قواعد وقوانين يحتكم إليها النقاد سوى الخبرة والدربة والتفاوت،...لأن الناقد هو الإنسان الخبير بالشعر بحيث إذ قرأه أو سمعه دل الأمر على مواطن الحسن والقبح فيه"[2].

3-2 التذوق والمتعة الفنية:

كان لنقادنا القدماء آراء كثيرة حول قضية الذوق والمتعة الفنية ومن بين هؤلاء النقاد نجد الجاحظ الذي يرى أن أجمل الشعر هو الذي يكون وزنه راقيا وموسيقاه منسجمة مع أصواتها يقول في ذلك: «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا وسبك سبكا واحدا فهو يحوي على اللسان كما يحوي على الذهان»[3]. وقد أشار بعض النقاد إلى الطبع وعدم التكلف في اختيار الكلمات حتى يشعر القارئ باللذة والمتعة الجمالية بالإضافة إلى الأسلوب الجيد والتناغم الإيقاعي في

---

[1] ينظر: إبراهيم صدفة، التأثرية والنقد التأثري، ص15-16.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص18.

الشعر «والذوق عند ابن طباطبة مشترك بين الشاعر والناقد فإذا كان الناقد لابد من أن يكون ذا ذوق مهذب ومدرب، فإن الشاعر كذلك يجب أن يكون مزودا بذوق صحيح وطبع سليم، فمعرفة العروض غير كاف لنظم الشعر وفرضه» [1].

بناء على ما تقدم يمكن القول إن النقد التأثري وليد الإحساس والشعور بمستويات القول، حيث يبلغ غاياته المنشودة بالأحكام الذوقية، فالأديب يعتمد على عواطفه وأحاسيسه وخياله ووجدانه في إيقاعه للنص الأدبي، ثم يأتي الناقد ليبحث عنها عند القراءة فيلمح وجدان الشاعر مائلا في إنتاجه والعاطفة في نظر النقاد هي ما يناقشه النقاد في المحتوى. وقد ظهرت بعض الأحكام والآراء النقدية التي تحتكم إلى عواطف ذاتية دون تعليل كافي أو مبرر مقنع، فالأديب يتحدث عن نفسه وعواطف إزاء موضوع معين من مواضيع الحياة وهذا ينطبق عن الناقد.

[1] إبراهيم صدفة، التأثرية والنقد التأثري، ص20.